

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا أَنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَعَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ۝٢
ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرْةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
۝٦ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧

٢٨٢

من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
تثبيت الله لرسوله ﷺ وتأيدته
بآيات البينات، وبشارته بالنصر
والثبات.

التفسير:

تنزه الله سبحانه وتعظم؛ لقدرته
على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فهو
الذي سير عبده محمداً ﷺ روحاً
وجسداً يقظة بجزء من الليل من
المسجد الحرام إلى مسجد بيت
المقدس الذي باركنا حوله بالثمار
والزروع وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى
بعض آياتنا الدالة على قدرة الله
سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى
عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه
مُبْصِر.

وأعطينا موسى ﷺ التوراة
وجعلناها هادية ومرشدة لبني
إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا
تتخذوا من دوني وكيلاً تفوضون إليه
أموركهم، بل توكلوا عليّ وحدي.

أنتم من نسل من أنعمنا عليهم
بالنجاهة مع نوح ﷺ من الفرق في
الطوفان، فتذكروا هذه النعمة،
واشكروا الله تعالى بعبادته وحده
وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه
كان كثير الشكر لله تعالى.

وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم
في التوراة أنه لا بد أن يقع منهم فساد
في الأرض بفعل المعاصي والبطر
مرتين، وليستعجلن على الناس بالظلم
والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء
عليهم.

فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عبداً لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجالوا بين ديارهم
يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعاً لا محالة.

ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سلطوا عليكم عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال بعد نهبها،
وأولاد بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعاً من أعدائكم.

إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجئتم بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فإله غني عن أعمالكم،
وإن أسأتم أفعالكم فعاقبة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم
أعداءكم ليخزوكم، ويجعلوا المساءة ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما
دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من البلاد تدميراً كاملاً.

من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

• في قوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: إشارة لدخوله في حكم الإسلام؛ لأن المسجد موطن عبادة المسلمين.

• بيان فضيلة الشكر، والافتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين.

• من حكمة الله وسنته أن يبعث على المفسدين من يمنهم من الفساد؛ لتتحقق حكمة الله في الإصلاح.

• التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تتبدل ولا تتحول.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَبْرَهُ وَفِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَيْتَ لَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ أَيُّومٍ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٢٨٣

عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتم إليه، وأحسنتم أعمالكم، وإن رجعتم إلى الإفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعنا إلى الانتقام منكم، وصبرنا جهنم للكافرين بالله فرأشاً ومهاذا لا يتخلون عنه.

﴿٨﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن السبل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

﴿٩﴾ ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

﴿١٠﴾ ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشور، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشر لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولاً على العجلة؛ ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

﴿١١﴾ وخلقنا الليل والنهار علامتين دلتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلماً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضيئاً لتبتغوا رزق الله الذي قدره لكم بفضله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام والساعات، وكل شيء يبتاه تبييناً لتتميز الأشياء، ويتضح المحق من المبطل.

﴿١٢﴾ وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للعنق،

لا ينفصل عنه حتى يحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

﴿١٣﴾ ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتول حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك.

﴿١٤﴾ من اهتدى إلى الإيمان فتواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قوماً حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

﴿١٥﴾ وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فحق عليهم القول بالعذاب المستأصل، فأهلكناهم هلاك استئصال.

﴿١٦﴾ وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود! وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

● من قواید آیات:

● من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره.

● التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر.

● اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته.

● تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

﴿١٨﴾ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقي لها بالاً، عَجَلْنَا له فيها ما نشأؤه نحن، لا ما يشأؤه هو من نعيم لمن أردنا أن نفضل ذلك به، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعني حرها، مذمومًا على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطرودًا من رحمة الله.

﴿١٩﴾ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولًا عند الله، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٠﴾ نزيذُ كلاً من هذين الفريقين الفاجر والبرّ، من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعًا عن أحد، بَرًّا كان أو فاجرًا.

﴿٢١﴾ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتًا في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلًا، فليحرص المؤمن عليها.

﴿٢٢﴾ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبودًا آخر تعبده، فتصير مذمومًا عند الله، وعند عباده الصالحين لا حامد لك، مخذولًا منه لا ناصر لك.

﴿٢٣﴾ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب الأتعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتصجر منهما بالتفوه بما يدل على ذلك، ولا تزجرهما ولا تغلظ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تَبَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُورًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ وَكَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

عليهما في القول، وقل لهما قولًا كريمًا فيه لين ولطف.

﴿٢٤﴾ وتواضع لهما ذلاً ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري.

﴿٢٥﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نياتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجاعين إليه بالتوبة غفورًا، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

﴿٢٦﴾ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المنقطع في سفره، ولا تتفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

﴿٢٧﴾ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطيعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفورًا، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يسخط ربه.

• من قَوَائِدِ آيَاتِ:

• ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليُثَابَ على ذلك. • أن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُسْتَدَلَّ بها على رضا الله تعالى؛ لأنها قد تحصل لغير المؤمن، وتكون عاقبته المصير إلى عذاب الله. • الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما بشكره لعظيم فضلهما. • يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ أُبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا
 مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
 كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ وَكَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيْتُمْ نَزْفُفَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ
 خِطَاةً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ الَّذِي هُوَ لَكُمْ وَالِدٌ فَكُنْتُمْ لَهَا
 سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
 الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
 مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَأْتِ
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
 السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
 الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ وَعِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨٥

﴿٢٨﴾ وإن امتنعت عن إعطاء هؤلاء؛ لعدم وجود ما تعطيتهم إياه منتظرًا ما يفتح الله به عليك من رزق، فقل لهم قولًا لينًا سهلًا، مثل أن تدعولهم بسعة الرزق، أو تعدهم بالعطاء إن رزقك الله مالًا.

﴿٢٩﴾ ولا تمسك يديك عن الإنفاق، ولا تسرف في الإنفاق، فتصير ملومًا يلومك الناس على بخلك إن أمسكت يدك عن الإنفاق، منقطعًا عن الإنفاق لإسرافك، فلم تجد ما تتفقه.

﴿٣٠﴾ إن ربك يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء لحكمة بالغة، إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا، لا يخفى عليه منهم شيء، فيصرف أمره فيهم بما يشاء.

﴿٣١﴾ ولا تقتلوا أولادكم خوفًا من الفقر مستقبلًا إذا أنفقتهم عليهم، نحن نتكفل برزقهم، وتكفل برزقكم أنتم، إن قتلهم كان إثمًا كبيرًا؛ إذ لا ذنب لهم ولا سبب يستوجب قتلهم.

﴿٣٢﴾ واحذروا الزنى، وتجنبوا ما يشجع عليه، إنه كان منتهيًا في القبح، وساء طريقًا لما يؤديه من اختلاط الأنساب، ومن عذاب الله.

﴿٣٣﴾ ولا تقتلوا النفس التي عصم الله دمها بإيمان أو بأمان إلا إن استحقت القتل بردة، أو بزنى بعد إحسان، أو بقصاص، ومن قتل مظلومًا دون سبب يبيح قتله فقد جعلنا لمن يلي أمره من ورثته تسلطًا على قاتله، فله أن يطالب بقتله قصاصًا، وله العفو دون مقابل، وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتمثيل بالقاتل، أو بقتله بغير ما قتل به، أو بقتل غير القاتل، إنه كان مؤيدًا معانًا.

﴿٣٤﴾ ولا تتصرفوا في مال من مات والده من الأطفال إلا بما هو أصلح له من تميمته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة: هل وفى به فيثيبه أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٣٥﴾ وأتموا الكيل إذا كلتم لغيركم ولا تخسروه، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئًا ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكايل والموازين.

﴿٣٦﴾ ولا تتبع - يا ابن آدم - ما لا علم لك به، فتتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وفؤاده من خير أو شر، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر. ﴿٣٧﴾ ولا تمش في الأرض تكبرًا واختيالًا، إنك إن تمش فيها متعاليًا لن تقطع الأرض بمشيتك، ولن تصل قائمتك إلى ما وصلت إليه الجبال طولًا وارتفاعًا، فعلام التكبر إذن؟! ﴿٣٨﴾ كل ما سبق ذكره كان السيئ منه عند ربك - أيها الإنسان - ممنوعًا، لا يرضى الله عن مرتكبه، بل يبعضه.

• من فوائد الآيات:

• الأدب الرفيع هورد ذوي القربى بلطف، ووعدهم وعدًا جميلًا بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول. • الله أرحم بالأولاد من والديهم؛ فهني الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. • في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يقتص إلا بإذنه، وإن عفا سقط القصاص. • من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتميمته حتى يبلغ أشده.

٢٦ ذلك الذي وضعناه من الأوامر والنواهي والأحكام من الحكمة التي أوحاها إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبودًا آخر، فترمى في جهنم يوم القيامة ملومًا تلوّمك نفسك ويلومك الناس، مطرودًا عن كل خير.

٢٧ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأخضكم ربكم - أيها المشركون - بالذكر من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولًا بالغ القبح حيث تتسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعانًا في الكفر به.

٢٨ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواعظ والأمثال ليعتد بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعدًا عن الحق وكراهية له.

٢٩ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذبًا إذن لطلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقًا لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

٣٠ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علوًا كبيرًا.

٣١ تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئًا تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم، فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح

ذَلِكَ وَمِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءآخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّتُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَوَلَّوْا عَلَىٰ ءَأْدْبِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ حَمَجَوِي إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا ءَاذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

بلسانكم، إنه تعالى كان حليمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لمن تاب إليه.

٤٠ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواعظ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حجابًا ساترًا يمنعمهم من فهم القرآن عقابًا لهم على إعراضهم. ٤١ وصبرنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفهموا القرآن، وصبرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله. ٤٢ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تتبعون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحوراً اختلط عقله. ٤٣ تأمل - أيها الرسول - تعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنحرفوا عن الحق، وحراروا فلم يهتدوا إلى طريق الحق. ٤٤ وقال المشركون إنكارًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا، وبليت أجسامنا، أنبعث بعثًا جديدًا؟ إن هذا المستحيل.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. • أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفورًا؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. • ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح.

• من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه.

﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنَّ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ يُشَاءُ يُعَذِّبَكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

﴿٥٠﴾ قل لهم - أيها الرسول - كونوا - أيها المشركون - إن استظمتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥١﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله معيذكم كما بدأكم، ومحبيكم كما خلقكم أول مرة، فسيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا؟ قل لهم: يعيدكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون رؤوسهم ساخرين من رذك عليهم، ويقولون مستبشرين: متى هذه الإعادة؟ قل لهم: لعلها قريبة، فكل ما هو آت قريب.

﴿٥٢﴾ يعيدكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكنتم في الأرض إلا زمنًا قليلًا.

﴿٥٣﴾ وقل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويجتنبوا الكلمة السيئة المنفرة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٥٤﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم عذبكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم وكيلاً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه.

﴿٥٥﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكل من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثره الاتباع وبإنزال الكتب، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضرر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزًا لا يكون إلهًا.

﴿٥٧﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقر بهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٥٨﴾ وما من قرية أو مدينة من القرى الكافرة أهلها إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلوا بها بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاء إلهيًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

﴿٥٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.
- فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.
- الله لا يريد بعباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.
- علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.

﴿٥٩﴾ وما تركنا إنزال العلامات الحسية الدالة على صدق الرسول التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالآيات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلمهم يسلمون.

﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أو يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكورة في القرآن أنها تثبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين قلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتماديًا في الضلال.

﴿٦١﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟ فأنا أشرف منه.

﴿٦٢﴾ قال إبليس لربه: رأيت هذا المخلوق الذي كرمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن أبقيتني حياً إلى آخر الحياة الدنيا لأستميلن أولاده ولأغوينهم عن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَعَلَىٰ لَيْنِ أَخْرَتَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ ۖ وَإِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَظَّتْ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي
الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ وَكَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿٦٣﴾ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم.

﴿٦٤﴾ واستخف من استطعت أن تستخفه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصح عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

﴿٦٥﴾ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلط؛ لأن الله يدفع عنهم شرّك، وكفى بالله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

﴿٦٦﴾ ربكم - أيها الناس - هو الذي يسرّ لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا حيث يسرّ لكم هذه الوسائل.

﴿٦٦﴾ من قوايد الآيات:

- من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.
- ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.
- من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا
نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْنْتُمْ
أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا
كُلَّ آدَمَ بِأَسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ
يُقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ
فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ
كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ
عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ
لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿٦٧﴾ وإذا أصابكم - أيها المشركون - بلاء ومكروه في البحر حتى خشيتهم الهلاك غاب عن خاطركم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرتم في البر أعرضتم عن توحيدِه ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان ججودًا لنعم الله.

﴿٦٨﴾ أفأمنتم - أيها المشركون - حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أو أمنتم أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا حافظًا يحفظكم، ولا ناصرًا يينعكم من الهلاك.

﴿٦٩﴾ أم أمنتم أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحًا شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولًا، ثم لا تجدوا لكم مطالبًا يطالبنا بما فعلنا بكم انتصارًا لكم.

﴿٧٠﴾ ولقد كررنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك، وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والمراكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ورزقناهم من طيبات المأكَل والمشارب والمناجح وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلًا عظيمًا، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

﴿٧١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطيت كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئًا، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

﴿٧٢﴾ ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

﴿٧٣﴾ ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتختلف علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيبًا.

﴿٧٤﴾ ولولا أن مننَّا عليك بالتثبيت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

﴿٧٥﴾ ولولم لت إليهم فيما يقترحون عليك لأصبناك بعباب مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيرًا يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

● من قوايد الآيات:

● الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.

● كل أمة تُدعى إلى دينها وكتابتها، هل عملت به أو لا؟ والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

● عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة بسبب الحق الذي يحملونه، وليس لذواتهم.

● الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهده الصراط المستقيم، ولورثته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

(٧٦) ولقد أوشك الكفار أن يزججوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً. (٧٧) ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمناً يسيراً سُنَّه الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجه قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنننا تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

(٧٨) أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

(٧٩) ومن الليل فقم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحريراً أن يبعثك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده الأولون والآخرون.

(٨٠) وقل - أيها الرسول -: رب، اجعل مدخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تصرنني بها على عدوي.

(٨١) وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتَلَاشٍ لا

وإن كادوا لَيَسْتَفِرُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِنِعْمَتِنَا إِذْ مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يَعْوسًا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَنَبِّئَنَّ بِالَّذِي أُوْحِيَنا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)

يثبت أمام الحق.

(٨٧) وننزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغيظهم، ويزيدهم تكديباً وإعراضاً عنه.

(٨٨) وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

(٨٩) قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق. (٩٠) ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: لا يعلم حقيقة الروح إلا الله، وما أعطيتم أنتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه. (٩١) والله لو شئنا لذهب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى رده.

من قوايد الآيات:

● في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له ألا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يثبته على الإيمان. ● عند ظهور الحق يَصْحَلُ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. ● الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبهة، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ والمقاصد السيئة. ● في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

٨٧ لَكِن لَمْ نَذْهَبْ بِهِ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، وَتَرَكْنَاهُ مَحْفُوظًا، إِنَّ فَضْلَ رَبِّكَ كَانَ عَلَيْكَ عَظِيمًا حَيْثُ جَعَلَكَ رَسُولًا، وَخَتَمَ بِكَ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ. وَلَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْذُرُونَ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ جِنْسٍ مَا يَقُولُهُ الْبَشَرُ، وَاقْتَرَحُوا تَبْدِيلَهُ تَحْدَاهُمْ اللَّهُ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، فَقَالَ:

٨٨ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِنَسْتَجْمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ الْمُنزَلِ عَلَيْكَ فِي بِلَاغَتِهِ، وَحَسَنِ نَظْمِهِ، وَجِزَالَتِهِ، لَنْ يَأْتُوا بِهِ أَبَدًا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَعِينًا وَنَصِيرًا.

٨٩ وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَنُوعِنَا فِيهِ مِنْ كُلِّ مَا يُعْتَبَرُ بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْقِصَصِ رِجَاءً أَنْ يُؤْمِنُوا، فَأَبَى مَعْظَمُ النَّاسِ إِلَّا جُحُودًا وَإِنْكَارًا لِهَذَا الْقُرْآنِ.

٩٠ وَلَمَّا عَجَزُوا بِدُؤَاا يَقْدُمُونَ مَقْتَرِحَاتٍ لِلتَّعْجِيزِ، فَاقْتَرَحُوا مَا يَلِي:

٩١ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُخْرِجَ لَنَا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ عَيْنًا جَارِيَةً لَا تَجْبُحُ.

٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَسْتَانٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَجْرِي فِيهِ الْأَنْهَارُ بِغِزَارَةٍ.

٩٣ أَوْ تَسْقُطَ عَلَيْنَا السَّمَاءُ - كَمَا ذَكَرْتَ - قَطْطًا مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ تَجِيءَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ عَيْنًا حَتَّى يَشْهَدُوا لَكَ بِصِحَّةِ مَا تَدْعِيهِ.

٩٤ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مَرْحَرَفٌ بِالذَّهَبِ وَغَيْرِهِ، أَوْ تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّكَ مَرْسَلٌ إِنْ صَعِدْتَ إِلَيْهَا إِلَّا إِذَا نَزَلْتَ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَسْطُورٌ نَقَرْنَا فِيهِ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا

٩٥ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - رَدًّا عَلَيْهِمْ: لَوْ كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ مَلَائِكَةً يَسْكُنُونَهَا وَيَسِيرُونَ مُطْمَئِنِّينَ كَمَا هُوَ حَالُكُمْ لِبَعْتِنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا مَلَكًا مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفْهَمَهُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، وَكَذَلِكَ حَالُكُمْ أَنْتُمْ.

٩٦ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: كَفَى بِاللَّهِ شَاهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَنِّي رَسُولُ إِلَيْكُمْ، وَأَنِّي بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، إِنَّهُ كَانَ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ مُحِيطًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، بَصِيرًا بِكُلِّ خَفَايَا نَفْسِهِمْ.

الرسول -: سبحان ربي! هل كنت إلا بشراً رسولاً كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحتموه؟!

٩٢ وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكاراً: أبعث الله إلينا رسولاً من البشر؟!

٩٥ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - رَدًّا عَلَيْهِمْ: لَوْ كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ مَلَائِكَةً يَسْكُنُونَهَا وَيَسِيرُونَ مُطْمَئِنِّينَ كَمَا هُوَ حَالُكُمْ لِبَعْتِنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا مَلَكًا مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفْهَمَهُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، وَكَذَلِكَ حَالُكُمْ أَنْتُمْ.

٩٦ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: كَفَى بِاللَّهِ شَاهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَنِّي رَسُولُ إِلَيْكُمْ، وَأَنِّي بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، إِنَّهُ كَانَ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ مُحِيطًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، بَصِيرًا بِكُلِّ خَفَايَا نَفْسِهِمْ.

من قواعد الآيات:

- بَيَّنَّ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَا يُعْتَبَرُ بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْقِصَصِ؛ رِجَاءً أَنْ يُؤْمِنُوا.
- الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَآيَةُ النَّبِيِّ الْخَالِدَةِ، وَلَنْ يَقْدَرَ أَحَدٌ عَلَى الْمَجِيءِ بِمِثْلِهِ.
- مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بَشَرًا مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَطِيقُونَ التَّلَقِّيَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.
- مِنْ شَهَادَةِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مَا أَيْدِهِ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، وَنَصْرِهِ عَلَى مَنْ عَادَاهُ وَنَاوَاهُ.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بَأْنَهُمْ كَفَرُوا بآيَاتِنَا وَقَالُوا أَأَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
 قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
 اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٢٩٢

﴿٩٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضلّه فلن تجد - أيها الرسول - لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضر، ويجلبون لهم النفع، ونحشرهم يوم القيامة يُسحبون على وجوههم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، منزلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن لهيبها زدناهم اشتعالًا.

﴿٩٨﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، وبقولهم استبعادًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتَّة أبعث بعد ذلك خلقًا جديدًا؟

ولما ذكروا ما يتشبثون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿٩٩﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السموات وخلق الأرض على عظمهما قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محددًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلًا لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ ولا تقضي، إذن لا تمتنعتم من إنفاقها خوفًا من نفادها حتى لا تصبحوا فقراء، ومن طبع الإنسان أنه بخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين

ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿١٠١﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا والبيد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك الآيات، فقال له فرعون: إنني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

﴿١٠٢﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت - يا فرعون - أنه ما أنزل هذه الآيات إلا الله رب السموات والأرض، أنزلهن دلالات على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإني لأعلم أنك - يا فرعون - هالك خاسر.

﴿١٠٣﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالفرق. ﴿١٠٤﴾ وقلنا من بعد إهلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة آتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله ويخذله فلا هادي له. • مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارًا تلتهب. • وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.
- الطغاة والمُستبدون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَأَمْنُوا بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ أَوْ لَا تَتُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وُكُوفٌ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سجدة

آياتها ١١٠

سورة الكهف

رتبها ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبْدَاءٌ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سكدة طيبة
الديوتا

٢٩٣

والذي تنزهه عن الولد، وتنزهه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمه تعظيمًا كثيرًا، فلا تنسب له ولدًا ولا شريكًا في الملك ولا مناصرًا معيّنًا.

سورة الكهف

مكية

● من مقاصد السورة:

● بيان منهج التعامل مع الفتن.

● التمشير:

● الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعمة الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن اعوجاجًا وميلاً عن الحق. ﴿١﴾ بل جعله مستقيمًا لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظرهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم أن لهم ثوابًا حسنًا لا يدانيه ثواب. ﴿٢﴾ خالد بن عبد الله التميمي: هذا الثواب أبدًا، فلا ينقطع عنهم. ﴿٣﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا. ﴿٤﴾

● من قواعد الآيات: ● أنزل الله القرآن متضمنًا الحق والعدل والشريعة والحكم الأمثل. ● جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. ● الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. ● القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

● وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تعديل ولا تحريف، وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشرًا أهل التقوى بالجنة، ومخوفًا أهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٠٥﴾ وأنزله قرآنًا فصلناه، وبيّناه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسل في التلاوة؛ لأنه أدى للفهم والتدبر، ونزله منجّمًا مفرقًا حسب الحوادث والأحوال. ﴿١٠٦﴾ قل -أيها الرسول-: آمنوا به، فلا يزيد إيمانكم شيئًا، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كفركم شيئًا، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يُقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكرًا. ﴿١٠٧﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

● ويقعون على وجوههم ساجدين لله ليكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعًا لله وخشية له. ﴿١٠٨﴾ قل -أيها الرسول- لمن أنكرك عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله -سبحانه- الأسماء الحسنى، وهذان منها، فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسر بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقًا وسطًا بين الأمرين. ﴿١٠٩﴾ وقل -أيها الرسول-: الحمد لله المستحق لأنواع المحامد الذي تنزهه عن الولد، وتنزهه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمه تعظيمًا كثيرًا، فلا تنسب له ولدًا ولا شريكًا في الملك ولا مناصرًا معيّنًا.

❶ ليس لهؤلاء المفترين من علم أو دليل على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

❷ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

❸ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنختبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضى الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزي كلاً بما يستحقه.

❹ وأنا لمصيرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراباً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

❺ لا تظنن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السموات والأرض.

❻ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تفرّج ذنوبنا، وتنجينا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار، والإيمان، اهتداءً إلى طريق الحق وسداداً.

❼ ثم بعد سيرهم ولجؤهم إلى الكهف ضربنا على أذانهم حجاً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ❶ فَلَعَلَّكَ بَدِخَعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ❷ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ❸ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ❹ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ❺ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ❻ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ❼ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَالِ بَثْوَاهُمْ ❸ مِّنْ نَّفْسٍ عَلَيْكَ رَبُّهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ❹ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ❺ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ❻

❶ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم - علم ظهور - أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

❷ نحن نطملك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مريّة معه، إنهم شبان آمنوا بربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتشبيهاً على الحق.

❸ وقومنا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي أمانا به وعبدناه هورب السموات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا - إن عبدنا غيره - قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

❹ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

❺ من قوايد الآيات:

• الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا بأسف. • في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. • في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربان والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. • ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أركى قلوباً، وأتقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم.

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِكُمْ،
وَتَرَكْتُمْ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا

الجزء ١٦

١٦ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ١٧ وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَازًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِبْتُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١٨ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ٢٠

٢٩٥

١٦) وحين تحييتكم عن قومكم، وتركتم ما يعبدون من دون الله، فلم تعبدوا إلا الله وحده، فالتجروا إلى الكهف فرارًا بدينكم ببسط لكم ربكم سبحانه من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ويحكمكم، ويبسر لكم من أمركم ما تنتفعون به مما يعوضكم عن العيش بين ظهراني قومكم.

١٧) فامتثلوا ما أمروا به، وألقى الله النوم عليهم، وحفظهم من عدوهم، وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من مشرقها تميل عن كهفهم جهة يمين الداخل فيه، وإذا غابت عند غروبها تعدل عنه جهة شماله فلا تصيبه، فهم في ظل دائم لا يؤذيهم حر الشمس، وهم في مَسْعٍ من الكهف ينالهم من الهواء ما يحتاجون إليه، ذلك الحاصل لهم من إيوائهم إلى الكهف، والقاء النوم عليهم، وانحراف الشمس عنهم، واتساع مكانهم وإنجائهم من قومهم: من عجائب صنع الله الدالة على قدرته، من يوفقه الله لطريق الهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد له ناصرًا يوفقه للهداية، ويرشده إليها؛ لأن الهداية بيد الله، وليست بيده هو.

١٨) وتظنهم -أيها الناظر إليهم- مستيقظين لانفتاح أعينهم، والواقع أنهم نيام، وتقلبهم في نومهم تارة يمينًا، وتارة شمالًا حتى لا تاكل الأرض أجسامهم، وكلبهم المرافق لهم ما ذرأه بمدخل الكهف، لو اطلعت عليهم وشاهدتهم لأدبرت عنهم هاربًا خوفًا منهم، ولا امتلات نفسك رعبًا منهم.

١٩) وكما فعلنا بهم مما ذكرنا من

عجائب قدرتنا أيقظناهم بعد مدة طويلة ليسأل بعضهم بعضًا عن المدة التي مكثوا نائمين، فأجاب بعضهم: مكثنا نائمين يومًا أو بعض يوم، وأجاب بعض منهم ممن لم تظهر له مدة مكثهم نائمين: ربكم أعلم بمدة مكثكم نائمين، ففوضوا إليه علم ذلك وانشغلوا بما يعينكم، فأرسلوا أحدهم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا المعهودة، فليظنر أي أهلها أطيب طعامًا وأطيب مكسبًا، فليأتكم بقوت منه، وليأتنا في دخوله وخروجه ومعاملته، وليكن ليقًا، ولا يدع أحدًا يعلم بمكانكم؛ لما يترتب على ذلك من ضرر عظيم.

٢٠) إن قومكم إن يطلعو عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم بالحجارة، أو يرجعوكم إلى ملتهم المنحرفة التي كنتم عليها قبل أن يمن الله عليكم بالهداية إلى دين الحق، وإن رجعتم إليها فلن تفوزوا أبدًا، لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، بل ستخسرون فيها الخسران العظيم بسبب ترككم دين الحق الذي هداكم الله إليه، ورجوعكم إلى تلك الملة المنحرفة.

من قوائد الآيات:

- من حكمة الله وقدرته أن قلبهم على جنوبهم يمينًا وشمالًا بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، وهذا تعليم من الله لعباده.
- جواز اتخاذ الكلاب للحاجة والصيد والحراسة.
- انتفاع الإنسان بصحبة الأخيـار ومخالطة الصالحين حتى لو كان أقل منهم منزلة، فقد حفظ ذكر الكلب لأنه صاحب أهل الفضل.
- دلت الآيات على مشروعية الوكالة، وعلى حسن السياسة والتلطف في التعامل مع الناس.

﴿٢١﴾ وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنعامهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُطَّلعون عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لنتخذن على مكانهم هذا مسجدًا للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

﴿٢٢﴾ سيقول بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالتها تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جدالاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على ما نزل عليك من الوحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

﴿٢٣﴾ ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يُحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

﴿٢٤﴾ إلا أن تعلق فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها - وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

﴿٢٥﴾ ومكث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مئة وتسع سنين. قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدّة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السموات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمعُه! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

﴿٢٦﴾ ولما بين بين أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال: واقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته؛ لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاداً تعوذ به سواه.

من قوايد الآيات:

- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.
- في القصة إقامة الحجّة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.
- دلّت الآيات على أن المراءء والجدال المحمود هو الجدال بالتّي هي أحسن.
- السُّنة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذِ تَتَذَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا أَيْبُونَا عَلَيْهِمْ بُيُنَاتٌ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذْ أَنْسَيْتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاذًا وَتِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ وَغِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَمْ يَمْسُرْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلًا لَرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْهُمَا وَلَمْ
تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ ۖ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۖ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

٢٩٧

﴿٢٨﴾ ألزم نفسك بصحبة الذين يدعون ربهم دعاء عبادة ودعاء مسألة أول النهار وآخره، مخلصين له، لا تتجاوز عيناك عنهم، تريد مجالسة أهل الغنى والشرف، ولا تطع من صيرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بختنا عليه، فأمرك بتحية الفقراء عن مجلسك، وقدم اتباع ما تهواه نفسه على طاعة ربه، وكانت أعماله ضياعاً.

﴿٢٩﴾ **وقل - أيها الرسول - لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لغفلة قلوبهم: ما جئكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرد المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيُسّر جزائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر ناراً عظيمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فراراً منها، وإن يطلبوا غوثاً بماء من شدة ما يلاقون من العطش يغاثوا بماء كالزيت العكر شديد الحرارة، يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شراباً هذا الشراب الذي يُغاثون به، فهو لا يغني عن عطش بل يزيد، ولا يطفئ اللهب الذي يُلْفَح جلودهم، وساءت النار منزلاً ينزلونه، ومقاماً يقيمون فيه.**

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

﴿٣٠﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات قد أحسنوا عملهم فلهم ثواب عظيم، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

﴿٣١﴾ أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزيّتون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير وغلظه، يتكئون على الأسرة المزينة بالستائر الجميلة، حُسن الثواب ثوابهم، وحُسن الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بيّن سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

﴿٣٢﴾ واضرب - أيها الرسول - مثلاً لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين من أعناب، وأحطنا الحديقتين بنخل، وانبتنا في الفارغ من مساحتها زروعاً.

﴿٣٣﴾ فأثمرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافيّاً كاملاً، وأجرينا بينهما نهراً لسقيهما ببسر.

﴿٣٤﴾ وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مُعْتزلاً: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك جانباً، وأقوى عشيرة.

● **من قواید الآيات:**

- فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى.
- كثرة الذكر مع حضور القلب سبب للبركة في الأعمار والأوقات.
- قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ وَصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطْلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ وِفَاءٌ يَنْصُرُونَهُ وَمِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿٣٥﴾ ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالغيب، قال الكافر: ما أظنُّ أن تفتني هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٣٦﴾ وما أظنُّ أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بُعثت وأرجمت إلى ربي لأجدنَّ بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديقتي هذه، فكوني غنيًا في الدنيا يقتضي أن أكون غنيًا بعد البعث.

﴿٣٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجع الكلام: أكثرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من المني، ثم صبرك إنسانًا ذكرًا، وعدل أعضائك وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٣٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحدًا في العبادة.

﴿٣٩﴾ وهالأ حين دخلت حديقتك قلت: ما شاء الله لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، فإن كنت تراني أفقر منك وأقل أولادًا.

﴿٤٠﴾ فأنا أتوقع أن يعطيني الله خيرًا من حديقتك، وأن يبعث على حديقتك عذابًا من السماء، فتصبح حديقتك أرضًا لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لملوستها.

﴿٤١﴾ أو يذهب ماؤها غائرًا في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها.

﴿٤٢﴾ وتتحقق ما توقعه المؤمن، فأحاط الهالك بثمار حديقة الكافر،

فأصبح الكافر يقلب كفيه من شدة الحسرة والندم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تمَّدد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحدًا في العبادة.

﴿٤٣﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو ممتنعًا من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤٤﴾ في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خيرٌ ثوابًا لأوليائه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب، وخيرٌ عاقبةً لهم. ﴿٤٥﴾ واضرب - أيها الرسول - للمُفْتَرِّينَ بالدنيا مثلًا، فمثلا في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وأنتع، فأصبح هذا النبات منكسرًا متفتتًا، تحمل الرياح أجزاءه إلى نواح أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدرًا، لا يعجزه شيء، فيحبي ما شاء، ويفني ما شاء.

﴿٤٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديته، وشكر نعمه وأفضاله عليه.

• ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى موليتها ومُسَدِّبِهَا بأن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

• إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا.

• جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طفيلانه وكفره وخسرانه.

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

الملائكة، فأبى واستكبر عن السجود، فخرج عن طاعة ربه، أفْتَتَخَذُونَهُ - أيها الناس - هو وأولاده أولياء توالونهم من دوني وهم أعداء لكم، فكيف تتخذون أعداءكم أولياء لكم؟! بسّ وقبح صنيع الظالمين الذين جعلوا الشيطان وليًا لهم بدلًا من موالاة الله تعالى. ﴿٥١﴾ هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني هم عبيد أمثالكم، ما أشهدتهم خلق السماوات ولا خلق الأرض حين خلقتهما، بل لم يكونوا موجودين، وما أشهدت بعضهم خلق بعض، فأنا المنفرد بالخلق والتدبير، وما كنت متخذ المضلين من شياطين الإنس والجن أعوانًا، فأنا غني عن الأعوان.

﴿٥٢﴾ واذكر لهم - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله للذين أشركوا به في الدنيا: ادعوا شركائِيَ الذين زعمتم أنهم شركاء لي لعلهم ينصرونكم، فدعوه فلم يستجيبوا لدعائهم ولم ينصروهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مَهْلَكًا يشركون فيه، وهو نار جهنم.

﴿٥٣﴾ وعابن المشركون النار، فأيقنوا تمام اليقين أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا عنها مكانًا ينصرفون إليه.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- على العبد الإكثار من الباقيات الصالحات، وهي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة.
- على العبد تذكر أهوال القيامة، والعمل لهذا اليوم حتى ينجو من أهواله، وينعم بجنة الله ورضوانه.
- كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى أَبَانَ آدَمَ ﷺ والجنس البشري بأجمعه بأمره الملائكة أن تسجد له في بدء الخليقة سجد تحية وتكريم.
- في الآيات الحث على اتخاذ الشيطان عدوًّا.

﴿٤٦﴾ المال والأولاد مما يُتَزَيَّنُ به في الحياة الدنيا، ولا نفع للمال في الآخرة إلا إن أتقن فيما يرضي الله، والأعمال والأقوال المرضية عند الله خير ثوابًا من كل ما في الدنيا من زينة، وهي خير ما يؤمله الإنسان؛ لأن زينة الدنيا فانية وثواب الأعمال والأقوال المرضية عند الله باق.

﴿٤٧﴾ واذكر يوم تُزِيلُ الجبال من مواطنها، وترى الأرض ظاهرة لزوال ما عليها من جبال وشجر وبناء، وجمعنا جميع المخلوقات، فلم نترك منهم أحدًا إلا بعثناه.

﴿٤٨﴾ وعرض الناس على ربك صفوفًا فيحاسبهم، ويقال لهم: لقد جئتمونا فَرَادَى حِصَاةٍ عَرَاةٍ غُرْلًا كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أنكم لن تبعثوا، وأنا لن نجعل لكم زمانًا ومكانًا نجازيكم فيه على أعمالكم.

﴿٤٩﴾ ووضِعَ كتاب الأعمال، فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ إياه بشماله، وترى - أيها الإنسان - الكافرين خائفين مما فيه؛ لأنهم يعلمون ما قدموا فيه من الكفر والمعاصي، ويقولون: يا هلاكنا ومصيبتنا، ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلا حفظها وعدّها، ووجدوا ما عملوا في حياتهم الدنيا من المعاصي مكتوبًا مثبّتًا، ولا يظلم ربك - أيها الرسول - أحدًا، فلا يعاقب أحدًا من غير ذنب، ولا ينقص المطيع من أجر طاعته شيئًا.

﴿٥٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم له امتثالًا لأمر ربهم إلا إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة.

﴿٥٤﴾ ولقد بيّنا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويتعظوا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق. ﴿٥٥﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نُقِّصَ البيان، فقد صُربت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعنت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاينة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٥٦﴾ وما نبعث من نبعث من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، ويخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصيروا القرآن وما حُوفوا به أضحوكه وسخرية.

﴿٥٧﴾ ولا أحد أشد ظلماً ممن دُكر بآيات ربه، فلم يعياً بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاعتاظ بها، ونسي ما قدّم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم غغطية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم صمماً عنه، فلا يسمعون سمع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبداً ما دامت على قلوبهم غغطية، وفي آذانهم صمم.

﴿٥٨﴾ ولئلا يشكّوفا النبي ﷺ إلى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ أَهْزُومًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلمهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلِيم رحيم، أحر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يجازون فيهما على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا من دونه ملجأ يلجؤون إليه.

﴿٥٩﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قرى قوم هود وصالح وشعيب أهلكتناهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً محدداً. ﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً إلى أن ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه. ﴿٦١﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا سمكتهما التي اتخذها زادا لهما، فأحيا الله السمكة، واتخذت طريقاً في البحر مثل السرداب، لا يلتئم الماء معه.

• من قواید الآيات:

- عظمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر.
- من حكمة الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبيين الباطل وفساده.
- في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينه وبين الحق، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهب وذاجر عن ذلك.
- فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.
- الحوت يطلق على السمكة الصغيرة والكبيرة ولم يرد في القرآن لفظ السمك، وإنما ورد الحوت والتون واللحم الطري.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءْنَا لِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ وَمُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا قِيَا عِلْمًا فَتَلَّهُ وَ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

٣٠١

﴿٦٢﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: أتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا شديدًا. ﴿٦٣﴾ قال الغلام: أ رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة؟! فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد خبي الحوت، واتخذ له طريقًا في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٤﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ لثلا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٥﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبداً من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علماً لا يطالع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٦٦﴾ قال له موسى في تواضع وتلطّف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٦٧﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟! قال موسى: ستجدني إن شاء

الله صابراً على ما أرى منك من أفعال، ملتزماً بطاعتك، لا أعصي لك أمراً أمرتني به.

﴿٦٩﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني،

فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه.

﴿٧٠﴾ فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجرة تكرمه للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجرة رجاء أن تغرق أهلها؟! لقد أتيت أمراً عظيماً.

﴿٧١﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقل: إنك لن تطيق معي صبراً على ما ترى مني؟! قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسياناً، ولا تضيق عليّ وتشدّد في صحبتك.

﴿٧٢﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلاماً لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفساً طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟! لقد أتيت أمراً منكراً!

من قوايد الأكياف:

- استحباب كون خادم الإنسان ذكياً فطناً كيئساً ليتم له أمره الذي يريد.
- أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يعان ما لا يعان غيره.
- التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب.
- النسيان لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم.
- تعلم العالم الفاضل للمعلم الذي لم يتمه فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.
- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها.